



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

أوراق استراتيجية | 29 تموز / يوليو 2024

عداء غير رسمي رغم السلام الرسمي

كيف نفذ جنود مصريون عمليات مسلحة منفردة ضد إسرائيل؟

ورقة استراتيجية رقم 21

سيف الإسلام عيد

وحدة الدراسات الاستراتيجية

عداء غير رسمي رغم السلام الرسمي: كيف نفذ جنود مصريون عمليات مسلحة منفردة ضد إسرائيل؟

سلسلة: أوراق استراتيجية

ورقة استراتيجية رقم 21

29 تموز / يوليو 2024

سيف الإسلام عيد

باحث، يعمل في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، حاصل على الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من معهد الدوحة للدراسات العليا.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرف، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعاين، قطر

هاتف: + 974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

4 مقدمة

5 أولاً: المنطقة «ج»: جغرافية العمليات المنفردة

8 ثانياً: العمليات المنفردة في عهد مبارك

8 1. عملية سليمان خاطر (1985)

9 2. عملية أيمن حسن (1990)

ثالثاً: حدود غير هادئة: حال الحدود المصرية - الإسرائيلية بعد الثورة المصرية (2011-2012)

10

11 رابعاً: العمليات المنفردة ما بعد انقلاب تموز/ يوليو 2013

11 1. عملية محمد صلاح (2023)

12 2. عملية عبد الله رمضان وإسلام عبد الرزاق (2024)

15 خاتمة

15 المراجع

15 العربية

16 الأجنبية

مقدمة

لم يكن الاشتباك الذي جرى يوم 27 أيار/ مايو 2024 بين جنود من الجيش المصري وآخرين من جيش الاحتلال الإسرائيلي عند معبر رفح البري، والذي أسفر عن مقتل مجندين مصريين، هما عبد الله رمضان وإسلام عبد الرازق¹، الأول من نوعه بعد توقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية (1979)، بل سبقه عددٌ من حوادث الاشتباك والعمليات، نفّذها مجندون مصريون، من الجيش أو الشرطة، مكلفون بحراسة الحدود الشرقية لمصر. وأحدثت هذه العمليات زخماً شعبياً كبيراً، في حين لم تتباين ردود الفعل الرسمية المصرية عليها كثيراً مع اختلاف الأنظمة السياسية المتعاقبة، وذلك منذ العملية التي نفّذها الجندي سليمان خاطر في تشرين الأول/ أكتوبر 1985، وصولاً إلى اشتباك رمضان وعبد الرازق الأخير.

تتبع هذه الورقة العمليات المنفردة غير الرسمية² التي نفّذها مجندون مصريون نظاميون يتبعون إما للجيش وإما للشرطة ضد أهداف إسرائيلية على الحدود الشرقية المصرية وداخل الأراضي المحتلة، والتي يُعدّ فيها الزيّ الرسمي للجنود معبراً عن هويتهم عند تنفيذها، ومن دون توجيه للمجنّد أو انخراطه ضمن عمل منظم. وتقف الورقة كذلك على ردّ فعل النظام السياسي الرسمي، وردود الفعل الشعبية التي جاءت في غالبيتها مؤيدةً لها.

من الصعب إيجاد مفهوم أو مقاربة نظرية تفسّر العمليات التي ينّفذها مجندون في جيوش نظامية، والتي يخالفون فيها القوانين العسكرية ويهاجمون أهدافاً عسكرية أو غير عسكرية بتدبير منفرد، محمّلين بثأراً أو مظلومية، ويحظون كذلك بتأييد شعبي مغاير للموقف الرسمي. نظرياً، لا يمكن موقعة العمليات التي نفّذها مجندون مصريون في إطار عمليات تقوم بها منظمات دون الدولة (Non-State Actors)؛ إذ لا توجد معطيات تشير إلى أنّ هؤلاء المجنّدين في صفوف الجيش المصري أو ضمن قوات حرس الحدود³ يتبعون تنظيمات معيّنة، أو كوّنوا تنظيماتٍ ما أثناء فترات تجنيدهم، ولا حتى في سياق التمرد Rebellion الذي تنفصل في إطاره مجموعة من الجنود، على نحو منظم أو شبه منظم، عن القوات النظامية لأسباب سياسية أو أيديولوجية أو حتى اجتماعية، وكذلك لا يمكن اعتبارها عمليات تقع ضمن إطار الحرب غير التقليدية⁴ التي تُعدّ في أكثر تعريفاتها وضوحاً عملاً جماعياً سواء أقامت به فواعل حكومية أم غير حكومية⁵. كذلك، لا يمكن عدّها عمليات مقاومة منظمّة أو انغماسية⁶، على غرار المقاومة الفلسطينية ذات القيادة المنظمة والمعروفة والتي توجّه نحو القيام بمثل هذه العمليات التي شارك فيها أكثر من مرّة مصريون كانوا مرتبطين بحركات المقاومة الفلسطينية على فترات متباعدة⁷. وبناءً عليه، هل يمكن عدّ هذه العمليات عمليات «ذئاب منفردة» Lone Wolves؟

1 "Egyptian Guard Killed in Shooting on Rafah Border, Israel and Egypt Investigating," *Reuters*, 28/5/2024, accessed on 29/5/2024, at: <https://cutt.ly/SeyMUD1v>; "في 29/5/2024، شوهد في 28/5/2024، إكس، صحیح مصر"، <https://cutt.ly/beyM4gg1>

2 لا يدل وصف العمليات هنا بغير الرسمية على أنها مقابل عمليات رسمية بتوجيه من القيادات العسكرية، بل يدل اللفظ في عمومها على أنها عمليات عسكرية من دون أمر من الرتب الأعلى في التسلسل العسكري، وأنها تمت خلافاً للأوامر العسكرية.

3 للمزيد بشأن قانون التجنيد في مصر الذي يفرض على كل من هو فوق الثامنة عشرة من الذكور، ينظر: جمهورية مصر العربية، "قانون رقم 127 لسنة 1980 بإصدار قانون الخدمة العسكرية والوطنية"، *الجريدة الرسمية*، العدد 28، 28/7/1980.

4 للمزيد بشأن الحرب غير التقليدية، ينظر: "Defense Primer: What is Irregular Warfare?" *In Focus*, Congressional Research Service, 8/1/2024, accessed on 1/6/2024, at: <https://cutt.ly/Xeo2c3ls>

5 Ibid.

6 أي إنها تعمل على زرع عملاء لها داخل عمق العدو عبر عدة أشكال، من أهمها التجنيد.

7 مثل عملية إطلاق النار التي قام بها المواطن المصري عصام الجوهري، في 9 نيسان/ أبريل 1994، بالاشتراك مع المواطن الفلسطيني حسن عباس، في حي محلات شعفا المجاور لشارع جيفا في القدس المحتلة، وأدت إلى مقتل إسرائيليّين وجرح 16 آخرين، واستشهد الشبان بعد اشتباك مع قوات الأمن الصهيوني، وأعلنت كتائب الشهيد عز الدين القسام، الذراع العسكرية لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، في وقت لاحق انتماء الشابين إليها. إضافة إلى الشاب المصري ياسر عكاشة الذي استشهد في 7 كانون الثاني/ يناير 2009 على تخوم مخيم جباليا خلال العدوان على قطاع غزة الذي استمر 22 يوماً، وكان قد دخل قطاع غزة قبل ذلك وانضم إلى كتائب القسام واستشهد ضمن صفوفها. ينظر: "الزوارب سبقه عرب ومسلمون انضموا للمقاومة الفلسطينية"، *الجزيرة نت*، 2016/12/19، شوهد في <https://bit.ly/3XmPwzh>، في: 2024/5/31

لمفهوم «الذئاب المنفردة» حمولة سلبية غالبًا، لارتباطه في الخطاب الأكاديمي والإعلامي (الغربي خصوصًا)، بالإرهاب⁸، لا سيَّما عند تناوله الأعمال المسلحة ضدَّ إسرائيل، فبات هذا المفهوم في حدِّ ذاته مفهومًا إشكاليًا⁹. وحتى مع وجود من يعدُّ عمليات الذئاب المنفردة نوعًا من الثَّأر أو الانتصار لمظلومية أو ردِّ فعلٍ على استفزازات يتعرَّض لها الجنود، فسلبية التوصيف «الذئاب» تجعله يبدو فعلًا سيئًا لا يمكن الدفاع عنه¹⁰، خاصةً إذا ما جرى ربط هذه العمليات بالأيديولوجيا الإسلامية¹¹. ولهذا السبب، واستنادًا إلى الإطار التحليلي الذي يوفره مفهوم الذئاب المنفردة من دون استحضار الحكم السلبي الذي يحمله، تعتمد الورقة تسمية «العمليات المنفردة» Lone Operations لوصف العمليات التي شتَّها مجندون مصريون نظاميون منفردون ضد أهداف إسرائيلية، من دون توجيهات من قياداتهم، بل على العكس منها، الأمر الذي يُمْكِّن من عدم الخضوع لما يمليه الإرث المعرفي لمفهوم الذئاب المنفردة الذي يصف مثل هذه العمليات بالإرهاب من جهة¹²، وعدم الانجرار إلى التأييد التام والاحتفاء بالعمليات من جهة أخرى.

تتوزَّع الورقة على أربعة أقسام. يوضِّح القسم الأول المنطقة الجغرافية التي تنشط فيها مثل هذه العمليات في شبه جزيرة سيناء، وأحكامها الأمنية وفقًا لمعاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية، في حين يتناول القسم الثاني العمليات المنفردة التي نُفذت في عهد الرئيس محمد حسني مبارك (1981-2011)، بدءًا من عملية المجند سليمان خاطر، وكيفية تفاعل النظام معها، ثم يتناول القسم الثالث الاشتباكات المسلَّحة التي قامت بعد ثورة 25 يناير 2011 ومدى اختلاف ردِّ فعل النظام السياسي وردِّ الفعل الشعبي، وأخيرًا يتناول القسم الرابع العمليات التي نفَّذها مجندون مصريون ضد أهداف إسرائيلية بعد انقلاب تموز/ يوليو 2013 وردِّ فعل النظام السياسي عليها.

أولاً: المنطقة «ج»: جغرافية العمليات المنفردة

وقعت جميع العمليات المنفردة التي نفَّذها مجندون مصريون في المنطقة «ج» من سيناء، طبقًا لمعاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية التي قسَّمت سيناء أمنياً إلى ثلاث مناطق (أ، ب، ج)، بينما تقع المنطقة «د» داخل الحدود «الإسرائيلية»، وقد حدد الملحق الأمني للاتفاقية حدود المناطق ونوعية القوات المنتشرة فيها، وعددها، وتسليحها (ينظر الخريطة).

8 ينظر:

Shaul Shay, "Israel and the Threat of the 'Mad Soldier' Terror Attacks," Research Institute for European and American Studies, 20/8/2013, accessed on 5/6/2024, at: <https://bit.ly/3Kr1Ruu>

9 في هذا السياق، ينظر: عزمي بشارة، "الإرهاب: بموجب هوية الفاعل أو بموجب هوية الضحية؟"، سياسات عربية، مج 5، العدد 29 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2017)، ص 7-19: كومان راماكريشنا، "إعادة النظر في مناهضة دراسات الإرهاب النقدية"، ورقة استراتيجية، رقم 17، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024/6/24، شوهد 2024/7/9، في: <https://tinyurl.com/4e3sk3a2>

10 Shay; Boaz Ganor, "Understanding the Motivations of 'Lone Wolf' Terrorists: The 'Bathtub' Model," *Perspectives on Terrorism*, vol. 15, no. 2 (April 2021), pp. 23 - 32.

11 وهو تفسير يسهل على عدد من الباحثين عزو الظواهر إلى وجود الحركات الإسلامية، علاوة على ربطها بالتطرف والراديكالية، مثال ذلك: Rachel Ehrenfeld, "The Myth of Islamist 'Lone Wolf'," American Center for Democracy and Economic Warfare Institute, 24/1/2015, accessed on 1/6/2024, at: <https://cutt.ly/SeaMxOU>

12 ينظر مثلاً:

Ramón Spaaij, "The Enigma of Lone Wolf Terrorism: An Assessment," *Studies in Conflict & Terrorism*, vol. 33, no. 9 (2010), pp. 854-870; Avner Barnea, "Challenging the 'Lone Wolf' Phenomenon in an Era of Information Overload," *International Journal of Intelligence and CounterIntelligence*, vol. 31, no. 2 (2018), pp. 217 - 234.

خريطة الملحق الأمني مع توضيح أماكن انتشار القوّات المصرية والإسرائيلية ومواقع العمليات المنفردة



المصدر: من إعداد الباحث.

حددت الاتفاقية المنطقة «أ» بأنها المنطقة التي تنحصر بين قناة السويس وخليج السويس إلى الخط «أ» الذي يمتد من شرق قرية قاطية (مركز بئر العبد) شمال سيناء إلى جبل قديرة، مروراً بقرية الجفافة بمركز الحسنة وقرى صدر الحيطان، وجبل بوضيع، وجبل كيد (كلها في مركز نخل)، إلى شرم الشيخ (جنوب سيناء)، وتوجد فيها قوات عسكرية مصرية قوامها فرقة مشاة ميكانيكية واحدة، ومنشأتها العسكرية، إضافة إلى تحصينات ميدانية تتمثل في: ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية، ولواء مدرع واحد، وسبع من كتائب المدفعية الميدانية التي تتضمن حتى 126 قطعة مدفعية، وسبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض-جو حتى 126 مدفعاً مضاداً للطائرات عيار 37 ملم فأكثر، وعدد من الدبابات بحد أقصى 230 دبابة، وحد أقصى 480 مركبة أفراد مدرعة من الأنواع كافة، بإجمالي عدد قوات يصل إلى 22 ألف عسكري. أما المنطقة «ب» فحددها الاتفاقية بأنها المنطقة التي تنحصر بين الخط «أ» والخط «ب» الذي يمتد من مدينة الشيخ زويد شرق العريش إلى قرية أبو عويقيلة (مركز الحسنة) مروراً بجبل الحلال (نخل) ليلاقي الخط «أ» عند جبل كيد (نخل)، ثم ينطبق عليه حتى مدينة شرم الشيخ. وحددت الاتفاقية القوات فيها بإجمالي أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة، إضافة إلى مركبات شرطة مدنية تعاونها في الحفاظ على الأمن في المنطقة. ويتيح

الملحق الأمني لمعاهدة السلام لمصر إقامة نقاط إنذار ساحلية أرضية قصيرة المدى في هذه المنطقة¹³. في حين حددت الاتفاقية المنطقة «ج» بأنها المنطقة التي تنحصر بين الخط «ب» والحدود المصرية مع قطاع غزة وإسرائيل (من رفح إلى طابا) والشاطئ الغربي لخليج العقبة حتى شرم الشيخ، وتتمركز فيها القوات المتعددة الجنسيات والشرطة المدنية المصرية فقط. ويجري تمييز الجنود المكلفين بالوجود في نقاط المراقبة الدولية بعلامات مختلفة عن قوات الأمن المركزي التابعة للشرطة المصرية في أغلب الأحيان. ووفقاً للملحق الأمني لا يتغير الوجود العسكري في المنطقة إلا بوجود تفاهات واتفاقات خاصة بين البلدين (وهو ما حدث لاحقاً في حالات عدة ستشير إليها الورقة). أما المنطقة «د»، فهي تنحصر بين خط الحدود المصرية - الإسرائيلية والخط «د» الذي يمتد من شرق رفح إلى إيلات بعرض نحو 2.5 كيلومتر وعمق أربعة كيلومترات، ويسمح الملحق الأمني بأن تضع إسرائيل فيها قوة محدودة من أربع كتائب مشاة غير مزودة بدبابات أو مدفعية سوى صواريخ أرض-جو، وينص الملحق الأمني على ألا يتجاوز مجموع الجنود الإسرائيليين في الكتائب أربعة آلاف مجند، مع 180 مركبة¹⁴.

بعد الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة عام 2005، وتولي السلطة الفلسطينية إدارة معبر رفح، لم تعد حدود قطاع غزة مع مصر حدوداً محتلة تسري عليها نصوص معاهدة السلام، وكانت الحاجة إلى تنظيم الوجود العسكري المصري على الحدود المصرية مع قطاع غزة الممتدة على طول 14 كيلومتراً مُلحة. وتسمح معاهدة السلام بالتنسيق الأمني المصري - الإسرائيلي بوجود أمني مصري من قوات حرس الحدود على طول محور صلاح الدين (ممر فيلادلفيا) والقيام بدوريات على الجانبين¹⁵. ونصت خطة فك الارتباط على احتفاظ الاحتلال بوجود عسكري له في محور فيلادلفيا خلال المرحلة الأولى، وجرى الاتفاق على أن يكون إخلاء المنطقة مشروطاً بالواقع الأمني والتعاون المصري في التوصل إلى اتفاق موثوق.

في أيلول / سبتمبر 2005، وقّعت مصر وإسرائيل «اتفاق فيلادلفيا»، واعتُبر جزءاً من معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية، ومحكوماً بمبادئها العامة، ويتضمن نشر قوات مصرية على الحدود الفاصلة مع قطاع غزة، تُقدر بنحو 750 جندياً من قوات حرس الحدود المصري، وتتركز مهمتهم - وفق الاتفاق - في مكافحة ما يسمى بالإرهاب وعمليات التسلل عبر الحدود والتفريب والكشف عن الأنفاق¹⁶. وقد أتت قوام القوات المصرية على نحو مفضل كالتالي: «4 سرايا للقوات المصرية مسلحة بسلاح خفيف، تم تحديده بـ 504 بنادق آلية و9 بنادق قناصة و94 مسدساً و67 رشاشاً و27 صاروخ آر بي جي» و31 مدرعة من المدرعات الخاصة بالشرطة المدنية، و44 سيارة جيب و4 سفن في المنطقة الحدودية البحرية للمراقبة، و8 مروحيات غير مسلحة للاستكشاف الجوي، و3 أجهزة رادار للكشف عن المتسللين¹⁷. ووفق الاتفاق، يُحظر على القوات المصرية إقامة تحصينات ومستودعات أسلحة، فضلاً عن معدّات جمع المعلومات الاستخباراتية العسكرية، وتخضع القوات المصرية لمراقبة القوات المتعددة الجنسيات الموجودة في سيناء، وتُفرض لقاءات دورية بين ضباط من الجيش المصري وجيش الاحتلال الإسرائيلي، ويجري تبادل المعلومات الاستخباراتية، وإجراء تقييم سنوي لتنفيذ الاتفاق¹⁸.

بدأت أهمية هذا الاتفاق أكثر بعد عملية «طوفان الأقصى» التي نفذتها كتائب القسام في 7 تشرين الأول / أكتوبر 2023، وازدياد التهديد الإسرائيلي باجتياح رفح والسيطرة على محور فيلادلفيا. وعلى الرغم من

13 Peace Treaty between the State of Israel and the Arab Republic of Egypt (Washington: 26/3/1979), annex 1, pp. 169-170, accessed on 10/6/2024, at: <https://cutt.ly/Deo4CSSr>

14 Ibid., p. 170.

15 Ismael Naar, "What is the Philadelphi Corridor on Gaza-Egypt Border Now Controlled by Israel?" *The National*, 30/5/2024, accessed on 14/6/2024, at: <https://cutt.ly/oezpGzjv>

16 تزامن هذا الاتفاق مع صعود حركة حماس في قطاع غزة، وقبل عام واحد من فوزها في الانتخابات التشريعية عام 2006، وتشكيل الحكومة والسيطرة على القطاع عام 2007، مع تزايد الحديث عن الحصول على الأسلحة عبر الأنفاق بين قطاع غزة وسيناء.

17 "محور فيلادلفيا.. شريط حدودي إستراتيجي بين غزة ومصر"، الجزيرة نت، 2024/1/4، شوهد في 2024/6/15، في: <https://cutt.ly/PepzVvDf>

18 المرجع نفسه.

التحذيرات المصرية الرسمية المتكررة من اجتياح رفح واحتلال محور فيلادلفيا¹⁹، وكذلك التهديدات والاستنكارات الحكومية المصرية، فإن قوَّات الاحتلال الإسرائيلي اجتاحت رفح في 6 أيار/ مايو 2024 وأعلنت السيطرة على كامل محور فيلادلفيا في 29 من الشهر نفسه، أي بعد يومين من اشتباك رمضان وعبد الرزاق²⁰.

ثانيًا: العمليات المنفردة في عهد مبارك

1. عملية سليمان خاطر (1985)

كانت أولى العمليات المنفردة لجنود مصريين هي عملية الجندي سليمان خاطر (1961-1986)، المجدد في سلاح حرس الحدود التابع لقوَّات الأمن المركزي في الشرطة المصرية عند النقطة 46 في منطقة راس برجة في نويبع، في محافظة جنوب سيناء، حيث توجد قوات الشرطة المدنية، ووفقًا لمعاهدة السلام، في نقاط حراسة الحدود. وقد نفَّذها في 5 تشرين الأول/ أكتوبر 1985 ردًّا فعلًا على اختراق غير مشروع لعدد من الإسرائيليين للحدود والاقتراب من نقطة حراسته المقامة على تبة، وذلك ووفقًا للبروتوكول العسكري الذي ينص على تحذير المخترق قبل القضاء عليه، بطلب كلمة السرِّ منه، ثم تحذيره عبر ضرب رصاصات في الهواء، ثم القضاء عليه. وبعد اتِّباع هذه الخطوات، أطلق خاطر الرصاص من سلاحه الآلي الكلاشينكوف (وهو السلاح المستخدم نفسه في بقية العمليات)، على عدد من مخترقي الحدود الإسرائيليين ليُردي سبعة منهم قتلى وعددًا آخر من المصابين²¹.

ذكر خاطر في محاضر التحقيقات أن ما حفَّزه على التصرف على هذا النحو هو تنفيذ الأوامر العسكرية، وعدم الرغبة في الوقوع في فخٍّ وقع فيه زملاء له من قبل حينما استدرجتهم سائحة إسرائيلية واستطاعت سرقة معدَّات اتصالات عسكرية، فحوكموا على إثر هذه الحادثة عسكريًا وعوقبوا بأحكام تصل إلى السجن 20 عامًا²². لذا، كان خاطر سيواجه المحاكمة سواء استطاع إيقاف المخترقين الإسرائيليين، أم لا. وبعد العملية، سارع إلى تسليم نفسه إلى قيادته، وأُحيل بعد ذلك إلى محاكمة عسكرية - مع أنه شرطي مدني²³ - قضت ضده بعقوبة السجن المؤبد²⁴. ووفقًا لعدد من التحليلات التي تتبَّعت سيرة خاطر في حياته الشخصية، فإنه شهد في صغره مذبحه مدرسة بحر البقر في 8 نيسان/ أبريل 1970، واستشهد أحد أفراد عائلته في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973؛ ما ترك في نفسه أثرًا كبقية أبناء جيله ممن حضروا هذه الفترة الحرجة التي تتابعت فيها الحروب المصرية مع إسرائيل²⁵.

لم تواجه الحكومة المصرية آنذاك مثل هذه العملية من قبل، ولا سيَّما أنها حدثت بعد قرابة أربع سنوات من إتمام انسحاب الاحتلال الإسرائيلي من سيناء في نيسان/ أبريل 1982. وفي اليوم التالي من الحادثة الموافق لذكرى 6 تشرين الأول/ أكتوبر، صرَّح مبارك للصحافة الأجنبية بأن الجندي فقدَ عقله A Man Lost his Mind، ووصف المشير أبو غزالة، قائد الجيش، الحادثة بأنها عادية ومن الممكن أن تحدث في أيِّ بلد آخر، وأن الجندي

19 "Egypt Warns of the Dangers of the Israeli Military Operation in Palestinian Rafah," Egyptian State Information Service, 6/5/2024, accessed on 15/6/2024, at: <https://cutt.ly/zepzNANO>

20 "الاحتلال يعلن السيطرة على محور فيلادلفيا والمقاومة تستهدفه شمالاً وجنوباً"، الجزيرة نت، 2024/5/29، شوهد في 2024/6/14، في: <https://cutt.ly/hepz1pWZ>

21 "بالذكرى 35 لقتله إسرائيلي ما زال سؤال المصريين بلا إجابة.. من قتل سليمان خاطر؟"، الجزيرة نت، 2020/10/5، شوهد في 2024/5/22، في: <https://cutt.ly/BeomE5X1>

22 "نهايات غامضة | سليمان خاطر.. انتحار أم تصفية مدبرة؟" الجزيرة، يوتيوب، 2018/10/7، شوهد في 2024/5/7، في: <https://cutt.ly/OeaMRoQi>؛ وقد ورد في الفيلم الذي بثَّ بعد ثورة يناير 2011، صورٌ تُظهر محضر التحقيقات.

23 إذ يُعامل أفراد الشرطة المدنية على أنهم مدنيون يحاكمون أمام المحاكم المدنية لا العسكرية.

24 "نهايات غامضة".

25 المرجع نفسه.

سيُحال إلى المحاكمة العسكرية²⁶. أما على المستوى الشعبي، فأثار الحكم على خاطر غضبًا في الشوارع والجامعات، وانطلقت عدة تظاهرات ترفض محاكمته.

وبعد نحو ثلاثة أشهر من العملية، وُجد خاطر مَيِّتًا في زنزانه في السجن الحربي صباح 7 كانون الثاني/يناير 1986²⁷. وظلّت الرواية الرسمية للنظام تؤكد أنه مات منتحرًا، على عكس الرواية الشعبية التي ظلت تقول إنه قُتل داخل سجنه. وحاصرت قوات الأمن قريته إيكيد البحرية في محافظة الشرقية، ومنعت الدخول إليها والخروج منها، وأصرت على دفنه بسرّية ومن دون إصدار شهادة وفاة²⁸. وشدد النظام حينها على معاملة القضية على أنها مسألة أمنية، وأنه مات منتحرًا، كي لا يفسح المجال لإبراز التبجيل الشعبي لخاطر والسماح بتكرار عملياته مرة أخرى، والحفاظ على حالة الوضع الهادئ مع دولة الاحتلال.

2. عملية أيمن حسن (1990)

تفادى النظام الضجة التي أحدثها الموت الغامض لخاطر داخل السجن، وعدم تصديق الرأي العام المصري لروايته عن انتحاره داخل السجن، إلى أن وقعت عملية أخرى نفذها المجدد أيمن محمد حسن (-1967) في سلاح حرس الحدود، يوم 26 تشرين الثاني/نوفمبر 1990، عند تبة الصفرا في وادي سهل القمر في منطقة رأس النقب على الحدود الشرقية المصرية، عند علامة الحدود رقم 81. وبحسبه، فقد كانت عملياته ردًا على استفزاز مجند إسرائيلي له بإهانة العلم المصري في النقطة المقابلة له داخل المنطقة «د» يوم 6 تشرين الأول/أكتوبر، ثم تكرر الحدث مرة أخرى تزامنًا مع مجزرة المسجد الأقصى يوم 8 تشرين الأول/أكتوبر، حتى قرر أن يُنفذ عملية مسلحة يوم 26 من الشهر التالي.

ووفقًا لشهادة حسن الشخصية، فقد استغرق 46 يومًا في التخطيط والتدريب «منفردًا» لعملياته التي نفذها داخل الأراضي المحتلة بعمق خمسة كيلومترات، بعد اختراقه الحدود من منطقة «ميتة» استراتيجيًا؛ أي إنها لا تخضع لمراقبة مكثفة. وجهاز الذخيرة بنفسه، وهي 15 خزنة و421 طلقة من طلقات سلاح الكلاشينكوف التقليدي الذي يستخدمه المجددون في نقاط الحراسة. وأسفرت عملياته عن مقتل 21 جنديًا وضابطًا أحدهم كان عميدًا في المخابرات الإسرائيلية. ومقارنةً بعملية خاطر، فقد نفذ حسن عملياته بالسلاح نفسه الذي استخدمه خاطر، وتشابه معه في الدافع الذي قاده إلى تنفيذ مثل هذه العملية؛ إذ تحدّث في شهادته عن مذبحة مدرسة بحر البقر التي وعاها صغيرًا، واستشهاد عمّه في حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973²⁹.

وبعد العملية، استطاع حسن العودة إلى داخل الحدود المصرية وتسليم نفسه لقيادة المنطقة «ج» شرق سيناء، ليُحال بعد ذلك إلى محاكمة عسكرية ويُحكم عليه بالسجن 12 عامًا، وليس بالمؤبد كما حُكم خاطر؛ ما يبيّن وعي النظام بتفادي الغضب الشعبي. وقد جاء في تقرير الصحة النفسية الذي استندت إليه المحكمة أنّ حسن يُعد مسؤولاً مسؤولة جزئية عن فعله، حتى يُعفى من المسؤولية الكلية التي قد تقوده إلى الإعدام³⁰. وبعد قضائه عشر سنوات في السجن، أُطلق سراحه بإفراج شرطي، ولا يزال حيًا إلى اليوم.

26 المرجع نفسه.

27 "Egyptian who Shot 7 is Dead," *The New York Times*, 8/1/1986.

28 وفقًا لرواية أهل خاطر وذويه، ينظر: "نهايات غامضة".

29 قدّم أيمن محمد حسن شهادته بنفسه بعد ثورة يناير 2011؛ أي بعد قرابة عشر سنوات من إطلاق سراحه، ينظر: "بطل عملية رأس النقب أسطورة تحيا على أرض الكنانة"، يوتيوب، 2011/4/27، شوهد في 2024/6/11، في: <https://cutt.ly/XefGV2pB>

30 "انتقامًا للأقصى وعلم بلاده ومآرب أخرى.. قصة آخر جندي مصري يخترق الحدود ويقتل إسرائيليين"، الجزيرة نت، 2021/11/28، شوهد في 2024/6/14، في: <https://cutt.ly/vefG1vIQ>

ثالثاً: حدود غير هادئة: حال الحدود المصرية - الإسرائيلية بعد الثورة المصرية (2011-2012)

شهدت العلاقات المصرية - الإسرائيلية تبايناً ملحوظاً بعد ثورة 25 يناير 2011، ولا سيّما على المستوى السياسي³¹، وانعكس الأمر على مستوى التنسيق العسكري على نحو لافت، خاصة بعد حادثة مقتل ثمانية إسرائيليين في هجوم في مدينة إيلات جاء منفذوه من سيناء في 18 آب/ أغسطس 2011، ومقتل خمسة مجندين مصريين بنيران القوات الإسرائيلية في اشتباكات مع المنفذين؛ ما استدعى ردة فعل شعبية غير مسبقة تمثلت في محاصرة مقر السفارة الإسرائيلية في القاهرة، والقنصلية الإسرائيلية في الإسكندرية، والمطالبة بالثأر للجنود القتلى. وبعدها، اتفق المستويان العسكريان المصري والإسرائيلي على زيادة القوات المصرية في سيناء، على أن تكون ذات تسليح خفيف، ورفض الجانب الإسرائيلي وجود دبابات مصرية أو أسلحة ثقيلة داخل الأراضي المصرية (المنطقة «ج»)، التزاماً بالبنود الأمنية من معاهدة السلام³². ليتكرر الحادث يوم 5 آب/ أغسطس 2012 في عهد الرئيس محمد مرسي، حين قُتل 16 جندياً مصرياً إثر هجوم مسلحين مجهولين على مركز أمني حدودي، استولوا فيه على مدرعتي جيش مصريتين ودخلوا بإحداها إلى الحدود الإسرائيلية قبل أن يقصفها سلاح الجو الإسرائيلي؛ ما استدعى ردة فعل سياسية قامت على إثرها الحكومة المصرية باستدعاء السفير المصري والقيام بما يشبه قطع للعلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل³³.

لم تكن هذه عمليات منفردة من جنود مصريين على غرار عمليتي خاطر وحسن، بل يمكن عزوها في أفضل التقديرات إلى وجود طرف ثالث أدى إلى اندلاع هذه الاشتباكات، أو إلى سوء تقدير الجانب الإسرائيلي لهوية منفذ العملية والرغبة في بسط السيطرة، أو رد فعل غير محسوب العواقب. لكن في هذه العمليات، كان رد الفعل المصري الرسمي غير مسبوق بخلاف العمليتين السابقتين، وذلك لتغيّر السلطة السياسية بعد الثورة، إلى حد وصل إلى التهديد بتعليق معاهدة السلام³⁴. أما على المستوى الشعبي، فقد كان الرد مختلفاً إلى حد بعيد أيضاً؛ إذ جابت التظاهرات الشعبية الشوارع، معبرةً عن الغضب الشعبي لمقتل الجنود المصريين على الحدود.

لم تكن حادثة مقتل الجنود المصريين على الحدود الشرقية الحدث الدال على توتر الحدود المصرية - الإسرائيلية، فقد ظهرت عمليات تفجير خطوط الغاز الطبيعي المنقول إلى إسرائيل بدءاً من 5 شباط/ فبراير 2011 (أي قبل سقوط مبارك بستة أيام) بتفجير خط أنابيب العريش - عسقلان، وتكرر الحدث بعدها أكثر من 15 مرة خلال الفترة الانتقالية بعد الثورة (2011-2013)، وعدة مرات بعد انقلاب تموز/ يوليو 2013، وُصف الفاعلون جميعاً فيها بـ «المثمين»، وكان يتبنى بعضها تنظيم «ولاية سيناء»، وكان آخرها في كانون الأول/ ديسمبر 2020³⁵. وهنا يمكن ملاحظة أن حوادث تفجير خطوط الغاز المنقول إلى إسرائيل لا تدلّ على عدم استقرار الحدود فحسب، بل على تنوُّع الفاعلين ضد الأهداف الإسرائيلية، بيد أن الورقة هنا تركّز على حالات الجنود النظاميين.

31 ينظر: عبد الفتاح ماضي، *عثرات في الميدان: كيف أخفقت ثورة يناير في مصر* (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 227-228؛ محمود محارب، «إسرائيل والثورة المصرية»، *تقييم حالة*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011/4/21، شوهد في 2024/5/28، في: <http://doha-institute.org/jwTX>؛ صالح النعامي، *العلاقات المصرية - الإسرائيلية بعد ثورة 25 يناير* (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات؛ بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017)، ص 162-33؛ سيف الإسلام عيد، «العلاقات العربية الإسرائيلية بعد الثورات العربية .. الأبعاد والمحددات»، *بحوث*، أركان للدراسات والأبحاث والنشر (كانون الأول/ ديسمبر 2018)، شوهد في 2024/6/11، في: <https://cutt.ly/ceglf6ld>

32 «مصر وإسرائيل تتفقان على زيادة القوات في سيناء»، *رويترز*، 2011/8/26، شوهد في 2024/6/11، في: <https://cutt.ly/refG3sFF>

33 «أبرز أبطالها أيمن حسن وسليمان خاطر.. دماء على الحدود المصرية الإسرائيلية (تسلسل زمني)»، *الخليج الجديد*، 2023/6/3، شوهد في 2024/6/10، في: <https://cutt.ly/aeoUicq>

34 «Egypt Says Israel's Apology is not Enough», *Ahram Online*, 22/8/2011, accessed on 6/7/2024, at: <https://cutt.ly/SefG8Jld>

35 «مصر.. تفجير خط الغاز الرئيسي في العريش بشمال سيناء»، *العربية نت*، 2020/12/25، شوهد في 2024/7/2، في: <https://cutt.ly/BehFdt9z>

رابعاً: العمليات المنفردة ما بعد انقلاب تموز/ يوليو 2013

شهدت العلاقات المصرية - الإسرائيلية تنسيقاً وتفاهماً واضحاً بعد انقلاب تموز/ يوليو 2013 في مصر³⁶، وخاصة ما يتعلق بالوضع الأمني في سيناء. ولاحقاً، بعد إعلان الجيش المصري إطلاق «العملية الشاملة» في سيناء من أجل محاربة تنظيم ولاية سيناء عام 2018، نسّق الجيش المصري مع جيش الاحتلال الإسرائيلي من أجل زيادة عدد القوات المصرية وتسليحها في شمال سيناء حيث تنشط التنظيمات المسلحة³⁷. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2021، أعلن المتحدث العسكري باسم الجيش المصري الاتفاق مع الجانب الإسرائيلي على زيادة القوّات في المحور الشمالي الشرقي عند مدينة رفح؛ أي بمحاذاة محور فيلادلفيا على الحدود مع قطاع غزة، ونتج من هذا التعديل إمكانية زيادة قوات حرس الحدود ورفع التسليح في الأماكن المتّفق عليها³⁸.

1. عملية محمد صلاح (2023)

على الرغم من اطمئنان الجانبين الرسميين المصري والإسرائيلي إلى عدم حدوث أيّ عمليات منفردة من الجانب المصري، على الأقل، من الجيش أو من الجماعات التي يحاربها الجيش في شمال سيناء لإبعادها عن الحدود³⁹، والتوافق على زيادة القوات المصرية في المنطقة «ج»، نه في صبيحة 3 حزيران/ يونيو 2023، قام المجدد المصري محمد صلاح (22 عامًا)⁴⁰ من قوّات حرس الحدود التابعة لقوات الأمن المركزي في الشرطة المصرية في قطاع شمال سيناء، وكان يقضي خدمته عند العلامة الدولية 47، باختراق الحدود المصرية - الإسرائيلية عبر ممر الطوارىء خلّسةً من ناحية معبر العوجة، حاملاً سلاحه الكلاشينكوف وسكينتين عسكريتين ومصحفاً، فقتل ثلاثة مجندين إسرائيليين، أحدهم قائد فصيلة تابعة لكتيبة الفهد في الجيش الإسرائيلي، وأصاب آخرين بجروح، بعد أن اشتبك قرابة أربع ساعات داخل الأراضي المحتلة بعمق 1.5 كيلومتر في «المنطقة د»⁴¹، ثم قُتل في الاشتباك بعد أن كشفت مسيرة إسرائيلية مكانه. وتعدّ عملياته أول عملية بهذا التكتيك على الحدود الشرقية منذ أن شيّدت إسرائيل سياجاً فاصلاً بطول 245 كيلومتراً وارتفاع 5 - 8 أمتار على الحدود المصرية عام 2010 لمواجهة ظاهرة التسلل والتفريب وتدمير الأنفاق، وانتهت منه عام 2013⁴². وقد استخدم صلاح بوابات الطوارىء الأرضية التي لا يعرف مكانها سوى جنود حرس الحدود من الجانبين المصري والإسرائيلي لاختراق السياج.

اختلفت روايتا الجيشين المصري والإسرائيلي الرسميتان تجاه الحادث، فقد قال المتحدث باسم الجيش المصري إن المجدد المصري كان في مطاردة لمهربي مخدرات على الحدود أدت إلى وفاة ثلاثة جنود إسرائيليين وإصابة اثنين آخرين ومقتل «عنصر التأمين» المصري⁴³، من دون الإشارة إلى نية مبيّنة لديه للقيام بمهاجمة الجنود الإسرائيليين واستمرار الاشتباك معهم ساعات. أما تحقيق جيش الاحتلال الإسرائيلي الذي نُشر بعد ذلك،

36 ع.د.

37 "مصر وإسرائيل تتفقان على زيادة عدد القوات المصرية في رفح"، *الحرة*، 2021/11/8، شوهد في 2024/6/6، في: <https://cutt.ly/BeoUUqim>

38 "المتحدث العسكري (القوات المسلحة المصرية)"، *إكس*، 2021/11/8، شوهد في 2024/6/10، في: <https://cutt.ly/EeoUQcwK>

39 وقد أشارت عدة تقارير إلى تعاون مصري - إسرائيلي في تنفيذ ضربات جوية إسرائيلية داخل سيناء ضد عدد من الجماعات المسلحة، كتقرير صحيفة *نيويورك تايمز* الذي أشار إلى تنفيذ إسرائيل أكثر من 100 غارة جوية داخل سيناء بعد عام 2015 حتى 2018. ينظر:

David D. Kirkpatrick, "Secret Alliance: Israel Carries out Airstrikes in Egypt, with Cairo's O.K.," *The New York Times*, 3/2/2018, accessed on 30/6/2024, at: <https://cutt.ly/DegLUpSR>

40 من مواليد عام 2001، ويقضي خدمة إجبارية 3 سنوات، لحصوله على مؤهل دراسي تحت المتوسط؛ حيث تنص المادة الرابعة من قانون التجنيد المصري على تقسيم مدة التجنيد وفق درجة التعليم. ينظر: جمهورية مصر العربية، "قانون رقم 127 لسنة 1980".

41 "متصدّقش"، *إكس*، 2023/6/5، شوهد في 2024/6/8، في: <https://bit.ly/3XeoQAp>

42 "245 كيلومتراً حدود مسيجة بين مصر وإسرائيل"، *الجزيرة نت*، 2023/6/21، شوهد في 2024/6/10، في: <https://cutt.ly/jeoKRN0q>؛

"Israel Raises Height of Fence on Egypt Border," *Times of Israel*, 18/1/2017, accessed on 9/6/2024, at: <https://cutt.ly/oei7Rwhi>

43 "المتحدث العسكري (القوات المسلحة المصرية)"، *إكس*، 2023/6/3، شوهد في 2024/6/1، في: <https://cutt.ly/FeoKakzq>

والذي وصف الجندي المصري بأنه «مخرب»، فكان أكثر تفصيلاً، إذ ذكر وجود حادثة تهريب قرابة الساعة 2:30 من فجر ذلك اليوم، إلا أن الجندي صلاح اخترق السياج في حادثة منفصلة ليست لها علاقة بحادثة التهريب، كانت بعدها بنحو ثلاث ساعات، وأكدت نتائج التحقيق ذلك، وخلص التحقيق إلى دخول الجندي المصري من بوابة الطوارئ التي تبعد عدة مترات عن نقطة حراسته. وانتهى كذلك إلى عدة قرارات، أهمها: سد الممرات الأمنية في السياج، وتقصير مدة المهمة المتواصلة للجنود في هذه المنطقة إلى أقل من 12 ساعة متواصلة، وتطبيق خطة فورية من فرقة تدعى «أدوم» لتعزيز الاستعداد للتعامل مع أيّ حادث مشابه على الحدود مع مصر، والنظر في وسائل الدفاع التي يملكها جنود الاحتلال في تلك المنطقة⁴⁴.

أما على مستوى ردة فعل النظام المصري الداخلية، التي تباينت هي الأخرى مع البيان الرسمي للجيش، فقد منعت قوات الأمن المصرية أسرة صلاح من إقامة جنازة علنية له، وحققت مع عدد من ذويه وأصدقائه وأقربائه، واحتجزتهم أياماً في محاولة معرفة السبب الحقيقي لتنفيذه العملية⁴⁵. ووفق تحقيق استقصائي قامت به شبكة «متصدقش» المصرية، كان صلاح يشعر بعدم الراحة في خدمته العسكرية إلى درجة تخلفه عن العودة إلى معسكره مدة 18 يوماً⁴⁶. إضافة إلى تحدّثه عن مجندين قُتلوا بالقرب منه من دون أن يذكرهم الإعلام؛ ما يكون قد وُلد لديه شعوراً بالانتقام والثأر لهم، ولا سيما أنه حاول الحصول على الإعفاء من الخدمة العسكرية أكثر من مرة بلا جدوى⁴⁷، ولم ينفذ العملية لدوافع أيديولوجية كما زعمت وسائل إعلام إسرائيلية بانتماؤه إلى تنظيم إسلامي بسبب وجود مصحف معه⁴⁸. ولم يكن رد الفعل الشعبي مختلفاً في هذه المرة عن مرات سابقة، إلا من خلو الشارع المصري من التظاهرات بفعل منع النظام لأيّ مشهد من مشاهد التعبير السياسي السلمي عموماً، وليس بعد مقتل صلاح فحسب، بيد أن الاحتفاء على مواقع التواصل الاجتماعي بيّن التأييد الشعبي الكبير لهذه العملية⁴⁹.

2. عملية عبد الله رمضان وإسلام عبد الرازق (2024)

بعد عملية طوفان الأقصى، وبدء إسرائيل حرب الإبادة غير المسبوقة على سكان قطاع غزة المحاصر، بدأت ردود الفعل المصرية من مدينة الإسكندرية، وليس من الحدود المصرية الشرقية، بعد يوم واحد من العدوان. فقد أطلق شرطي مصري عامل⁵⁰ (أي إنه ليس مجنّداً يخضع للتجنيد الإجباري) النار من مسدسه على سائحين إسرائيليين وأرداهما قتيلاً وأصاب ثالثاً، بعد استفزازات قام بها السياح الإسرائيليون وإصرارهم على التصوير بالعلم الإسرائيلي في منطقة المنشية المكتظة في الإسكندرية⁵¹. وفي إثر ذلك، اعتُقل الشرطي، ولم تُعلن نتيجة التحقيقات حتى كتابة هذه السطور.

44 "خلاصة التحقيق في ملابسات سقوط مفاتلي جيش الدفاع في أعقاب تسلل مخرب على الحدود المصرية"، موقع "جيش الدفاع الإسرائيلي"، 2023/6/13، شوهد في 2024/6/7، في: <https://bit.ly/3VHPeRT>

45 "الأمن يمنع العزاء.. وأصدقائه ما زالوا محبوسين"، متصدقش، فيسبوك، 2023/6/6، شوهد في 2024/6/9، في: <https://bit.ly/4eg8yNG>

46 وهي مدة طويلة نسبياً، وتعرّضه للعقوبات داخل وحدته العسكرية التي قد تصل إلى المنع من الإجازة مدداً طويلة.

47 ينظر نص التحقيق الذي نشرته الشبكة على فيسبوك: متصدقش، فيسبوك، 2023/6/5، شوهد في 2024/6/10، في: <https://cutt.ly/zeoLorfm>

48 Shay.

"Egyptian Cop who Killed IDF Troops is Named, Said to have Gripped about Border Duty," *Times of Israel*, 5/6/2023, accessed on 6/6/2024, at:

<https://cutt.ly/Geol13mf>

49 "تفاعل شعبي مع المجند المصري الذي قُتل في 'حادث الحدود'، الشرق الأوسط، 2023/6/6، شوهد في 2024/6/12، في: <https://cutt.ly/FeoLKSrQ>؛ إضافة إلى التفاعل الشعبي الواسع على صفحته على فيسبوك، شوهد في 2024/6/12، في: <https://bit.ly/4dcayFg>

50 لم يُستدل على اسمه، ولم تُنشر التحقيقات في قضيته حتى اليوم.

51 "شاهد عيان: الشرطي قتل الإسرائيليين بالإسكندرية بعد استفزازهما له"، الجزيرة نت، 2023/10/9، شوهد في 2024/6/12، في: <https://cutt.ly/WeoNlyQQ>

وفي 22 تشرين الأول/أكتوبر 2023، استهدف القصف الجوي والبري الإسرائيلي موقعًا عسكريًا مصريًا محاذيًا لمحور فيلادلفيا، ما أسفر عن إصابة بعض جنود الجيش المصري الموجودين في أبراج المراقبة. ووفق تصريح المتحدث العسكري المصري، أصاب الحادث «عناصر التأمين»، وقد قدّم جيش الاحتلال اعتذارًا عن الحادثة⁵²، وميّت كأنها حادث عرضي من دون أي رد عسكري من الجيش المصري.

توالت الأحداث أيضًا في الإسكندرية. ففي 7 أيار/مايو 2024، قتل مسلحون رجل أعمال إسرائيليًا دخل إلى مصر بجواز سفر كندي، وقد تعاملت قوات الشرطة المصرية مع الحادث في بداية الأمر باعتباره جنائيًا، قبل أن تبث جماعة أعلنت عن نفسها باسم «طلائع التحرير - مجموعة الشهيد محمد صلاح» شريطًا مصورًا لرجل ملثم أثناء تنفيذ العملية على سيارة رجل الأعمال باستخدام مسدس⁵³. وأعلنت المجموعة في بيان تداولته صفحات على «تيليجرام» أن العملية رد فعل على تقاعس الموقف الرسمي المصري عن نصرته القضية الفلسطينية: «شاهدنا الأهوال التي يتعرض لها أهلنا في غزة، والمذابح التي لم يسلم منها طفل أو امرأة، حتى الرضع في الحضانات، وانتظرنا ردود فعل رسمية حقيقية ولو من باب رفع العتب وحفظ ماء الوجه، إلا أن الخيانة والعمالة كانت العنوان»⁵⁴.

وفي أتون الحرب المستعرة على قطاع غزة، زادت مصر من قواتها المسلحة في شمال سيناء بناء على اتفاق مصري - إسرائيلي مسبق عام 2021، وانتشرت قوات من الجيش عند معبر رفح الذي كان يشهد حينها حركة للمسافرين والوفود الدولية والطبية، وشاحنات المواد الغذائية. لكن بعد بدء الجيش الإسرائيلي اجتياح رفح في 6 أيار/مايو، وانتهاك اتفاق فيلادلفيا والسيطرة العسكرية بالقوة على الجانب الفلسطيني من معبر رفح، بات يفصل بين قوات جيش الاحتلال الإسرائيلي وجنود الجيش المصري المتمركزين على الجانب الآخر عدة أمتار⁵⁵. وبعدها بثلاثة أسابيع، حدثت اشتباكات بين جنود مصريين وقوات الاحتلال المتمركزة في الجهة الفلسطينية من معبر رفح يوم 27 أيار/مايو 2024، نجم عنها مقتل جنديين مصريين، واكتفى المتحدث العسكري المصري بالإشارة إلى «تبادل إطلاق نيران» أدى إلى «استشهاد أحد العناصر المكلفة بالتأمين» من دون الإشارة إلى أي تفاصيل عن الحادث أو طبيعته، أو إلى الجندي الثاني الذي تأكد مقتله في الاشتباك نفسه⁵⁶.

الجندي الأول هو عبد الله رمضان (2002-2024) (22 عامًا)، الذي كان يقضي خدمته العسكرية مدة عامين في سلاح حرس الحدود التابع للجيش المصري، تحديداً في برج رعد 14 على خط الحدود، ضمن سرية «نمر» في الفوج الأول من قوات حرس الحدود، وهي أول نقطة برية قريبة من معبر رفح⁵⁷. ووفقاً لمصادر نشرتها شبكة «متصدقش»، فإن الجندي رمضان كان قد نجا من موت محقق في شباط/فبراير 2024 من قصف إسرائيلي وقع قربها؛ ما قد يفسر دوافعه لبدء استخدام سلاحه الكلاشينكوف والاشتباك عند تمكّنه من رؤية جنود جيش الاحتلال في الجانب الآخر من المعبر بعد احتلاله⁵⁸. وقد يُفسر الاشتباك على أنه عمل منفرد قام به رمضان فور تمكّنه من ذلك.

52 "المتحدث العسكري: إصابة برج مراقبة مصري بشظايا قذيفة إسرائيلية بالخطأ"، الهيئة العامة للاستعلامات المصرية، 2023/10/22، شوهد في 2024/6/12، في: <https://cutt.ly/7eoNnVJ4>

53 ينظر: "طلائع التحرير - مجموعة الشهيد محمد صلاح" تعلن مسؤوليتها عن مقتل 'رجل أعمال' إسرائيلي في الإسكندرية (فيديو)، "القدس العربي"، 2024/5/7، شوهد في 2024/6/12، في: <https://cutt.ly/deoOnRRv>

54 "مجموعة 'طلائع التحرير' تتبنى قتل رجل الأعمال الإسرائيلي بالإسكندرية"، عربي 21، 2024/5/8، شوهد في 2024/6/13، في: <https://cutt.ly/aeo0OEdr>

55 "شاهد| جيش الاحتلال الإسرائيلي ينشر مشاهد لاقترام معبر رفح"، الجزيرة، يوتيوب، 2024/5/7، شوهد في 2024/6/13، في: <https://cutt.ly/GeoMd5Yc>

56 "المتحدث العسكري (القوات المسلحة المصرية)" إكس، 2024/5/27، شوهد في 2024/6/13، في: <https://cutt.ly/3eoMIQ5c>

57 "هذا هو شهيد رفح عبد الله رمضان.. الجندي في سرية نمر"، متصدقش، 2024/5/28، شوهد في 2024/6/13، في: <https://cutt.ly/seoL233u>

58 المرجع نفسه.

لم تُقم جنازة عسكرية لرمضان على الرغم من السردية الرسمية، وأصرت قوات الأمن على دفنه فجراً فور وصول جثمانه إلى قرية العجميين في محافظة الفيوم في جنازة عادية؛ ما قد يعطي تفسيراً لقيامه بالاشتباك نتيجة للاستفزازات المتكررة التي عايشها بنفسه أثناء خدمته الممتدة عند معبر رفح، ومنها القصف المتكرر الذي استهدف الحدود المصرية مكان خدمته، لا سيّما بعد احتلال المعبر، وأنه بادر إلى الفعل الذي لم يكن على هوى القيادة الرسمية المصرية والأوامر العسكرية.

وقد أغفل بيان الجيش المصري أيّ ذكر للمجنّد إسلام عبد الرازق (2002-2024) (22 عامًا)، الذي قُتل متأثراً بإصابته في الحادث نفسه، والذي خدم في سلاح المشاة «مشاة شروط خاصة (مكافحة الإرهاب)» في كتيبة تابعة للجيش الثاني الميداني، وكان يخدم في قطاع الشيخ زويد شمال سيناء عند بداية العدوان، ثم انتقل بعدها إلى رفح لدعم القوات الموجودة هناك⁵⁹، في مهمة التأمين الداخلي للجدار العازل مع قطاع غزة، على بعد 100 متر من الحدود المصرية - الفلسطينية⁶⁰. لم تُقم لعبد الرازق كذلك جنازة عسكرية في قرية التابعة لمركز سنورس في محافظة الفيوم، وقد أثار عدم تحدّث النظام المصري عنه في أيّ بيان رسمي أو في أي وسيلة إعلامية تابعة له المفارقة بشأن رغبته في عدم تسليط الضوء على مقتل مجنّد آخر بنيران جيش الاحتلال، على عكس ما يحدث من جنازات عسكرية عند مقتل مجندين فيما يسمى «الحرب على الإرهاب» في سيناء⁶¹. وقد أثار مقتل الجنديين المصريين في شرائح واسعة من الجنود المصريين الواقفين على الحدود، وأشار تحقيق لموقع «ميدل إيست آي» إلى استياء الجنود المصريين الواقفين على الحدود الشرقية مع قطاع غزة من مستوى الضعف الذي يعترهم نتيجة تكبيّلهم بعدم التدخل، وهم يشاهدون حرب الإبادة⁶².

ومع أن هاتين العمليتين لم يتوافر فيهما عنصر التخطيط المسبق، كما في عمليات خاطر وصلاح وحسن، فقد كانت دوافعهما وأهدافهما مشابهة. وفي ظل عدم توافر معلومات مؤكدة عن الحادثتين، والاكتفاء بوصفهما بالمناوشات، فإن هذا يجعلهما خارج إطار العمليات المنفردة المسبقة التخطيط، وفي أكثر التوصيفات دقة فهما اشتباك مع قوات الاحتلال الإسرائيلي حالما سُنحت الفرصة. وإلى اليوم، وبعد مرور نحو شهرين على العملية الثانية، يصرّ النظام على تبني رواية المتحدّث العسكري بمقتل الجندي الأولي (عبد الله رمضان) فقط نتيجة «تبادل إطلاق نار»، وإنكار مقتل الجندي الآخر (إسلام عبد الرازق) في المكان نفسه، فضلاً عن أنه لم ينشر أيّ نتائج للتحقيقات في العمليتين.

وعلى الرغم من أن عمليتي الإسكندرية، اللتين قتل في الأولى سائحان إسرائيليان وفي الثانية رجل أعمال إسرائيلي، جرتا ضد أهداف غير عسكرية، فإنهما تتوفّران على الدوافع نفسها التي كانت لدى المجندين الذين قاموا بعمليات منفردة ضد أهداف إسرائيلية عسكرية على الحدود المصرية بعد معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية. ويتماشى هذا الأمر مع الرأي العام الذي لا يزال يرى في إسرائيل خطراً على مصر؛ فوفق ما أورده **المؤشر العربي لعام 2022**، فإن 84 في المئة من المصريين يرفضون اعتراف بلدهم بإسرائيل، ويعدها 34 في المئة الدولة الأكثر تهديداً لأمن الوطن العربي⁶³. وعلى الرغم من ذلك، فإن النظام السياسي المصري لم يتخذ إجراءات جادة من شأنها أن تكدر أجواء السلام مع إسرائيل، أو يهدد تهديداً حقيقياً بتعليق معاهدة السلام التي تسعى إسرائيل للحفاظ عليها.

59 "شهيد ثان في رفح.. إسلام إبراهيم عبد الرازق جندي في كتيبة مشاة بالجيش الثاني"، **متصدّقش**، 2024/5/28، شوهد في 2024/6/13، في: <https://cutt.ly/BeoL5Usp>؛ "هذا هو شهيد رفح عبد الله رمضان.. الجندي في سرية نمر"، **متصدّقش**، 2024/6/13، شوهد في 2024/5/30، في: <https://cutt.ly/TeoL90iO>.
60 المرجع نفسه.

61 "تشييع جنازة 'مجنّد رفح' وسط تعليمات للإعلام؛ إن الموضوع ما يكبرش"، **مدى مصر**، 2024/5/28، شوهد في 2024/6/13، في: <https://cutt.ly/xeo0oGQG>.
62 "My Blood Will Go in Vain": Egyptian Soldiers say Their Country has Failed Gaza," *Middle East Eye*, 18/6/2024, accessed on 19/6/2024, at: <https://cutt.ly/OeaMMAPO>

63 المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **المؤشر العربي 2022**، برنامج قياس الرأي العام العربي (الدوحة: تشرين الأول / أكتوبر 2022)، ص 390، 409، شوهد في 2024/6/15، في: <https://cutt.ly/Nez5IEb>

خاتمة

اتسمت العلاقات الرسمية بين مصر وإسرائيل منذ توقيع معاهدة السلام عام 1979 بالاستقرار النسبي، ولم تتكرر على نحو حقيقي وفعال. وقد حاول نظام مبارك الحفاظ على المعاهدة والتحالف مع الولايات المتحدة الأميركية لعدة أسباب، منها الحفاظ على أمن النظام ذاته، وإبعاده عن أيّ صراع مع حليفة الولايات المتحدة في المنطقة «إسرائيل». وعلى الرغم من قلة العمليات المنفردة التي نفذها مجندون مصريون، من الجيش أو الشرطة عند الحدود الشرقية المصرية أو داخل الأراضي المحتلة ضد أهداف إسرائيلية، فإن تجددها كل فترة يوحي باستمرار الشعور نفسه لدى المجندين، ويدل التأييد الشعبي الملحوظ لها على المزاج نفسه الراض للعلاقات مع إسرائيل، وأن العلاقات هي على المستوى الرسمي فحسب، وليس على المستوى الشعبي. بل إن المستوى الشعبي يزداد سخطاً بفعل جرائم الإبادة الجماعية التي يرتكبها جيش الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة، ونتيجة لعجز النظام الرسمي المصري وموقفه من الحرب، وعدم تمكنه من القيام بالدور الذي يُفترض أن تقوم به مصر. ووفقاً لاستطلاع الرأي الذي أجراه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات عن الحرب على غزة ونشره في كانون الثاني/يناير 2024، فقد أفاد 68 في المئة من المصريين بعدم اقتناعهم بإقامة سلام مع إسرائيل⁶⁴، واعتبر 94 في المئة منهم أن القضية الفلسطينية قضية جميع العرب⁶⁵.

من خلال تناول العمليات المنفردة التي نفذها مجندون مصريون على الحدود الشرقية المصرية، تجد الورقة أنّها عمليات نُفذت على نحو فردي غير منظم، ولم تخضع لحسابات أيديولوجية، وكانت في غالبيتها بدافع وطني أو ثأري ضد أهداف إسرائيلية واضحة، ورداً على استفزازات يقوم بها جيش الاحتلال، أو مستوطنون، وخضعت لإعداد مسبق في ثلاث حالات فقط (خاطر، وحسن، وصلاح)، ويقابلها عادة النظام المصري بحالة من الرغبة في الحفاظ على الوضع السياسي القائم، وأهم مرتكزاته معاهدة السلام مع دولة الاحتلال الإسرائيلي، والعلاقات العسكرية والسياسية مع الولايات المتحدة التي قويت على نحو غير مسبوق بعد توقيعها، وطورها نظام مبارك، فيُعاقب النظام المجندين إما بالسجن أو عدم التكريم بإقامة جنازات عسكرية، منعاً لجعلهم رموزاً أو أن يكونوا مثلاً يُحتذى، ويتكتم على تفاصيل العمليات، مع أنّها تحظى بتأييد شعبي واسع على الرغم من عدم قانونيتها شكلياً، ويشدد الإجراءات الأمنية على المجندين على الحدود الشرقية لمصر، في إجراءات يهدف من ورائها إلى الحدّ من تكرار مثل هذه العمليات مرة أخرى.

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. «الإرهاب: بموجب هوية الفاعل أو بموجب هوية الضحية؟». **سياسات عربية**. مج 5، العدد 29 (تشرين الثاني/نوفمبر 2017).

راماكريشنا، كومار. «إعادة النظر في مناهضة دراسات الإرهاب النقدية». **ورقة استراتيجية**، رقم 17. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2024/6/24. في: <https://tinyurl.com/4e3sk3a2>

عيد، سيف الإسلام. «العلاقات العربية الإسرائيلية بعد الثورات العربية .. الأبعاد والمحددات». **بحوث**. أركان للدراسات والأبحاث والنشر (كانون الأول/ديسمبر 2018). في: <https://cutt.ly/cegLf6Jd>

64 المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، برنامج قياس الرأي العام العربي (الدوحة: كانون الثاني/يناير، 2024)، ص 16.

65 المرجع نفسه، ص 24.

ماضي، عبد الفتاح. **عثرات في الميدان: كيف أخفقت ثورة يناير في مصر**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

محارب، محمود. «إسرائيل والثورة المصرية». **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2011/4/21. في: <http://doha-institute.org/JwTX>

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. **المؤشر العربي 2022**. برنامج قياس الرأي العام العربي. الدوحة: تشرين الأول/ أكتوبر 2022. في: <https://cutt.ly/Nepz5IEb>

_____ . **اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة**. برنامج قياس الرأي العام العربي. الدوحة: كانون الثاني/ يناير، 2024.

جمهورية مصر العربية. "قانون رقم 127 لسنة 1980 بإصدار قانون الخدمة العسكرية والوطنية". **الجريدة الرسمية**. العدد 28. 1980/7/10.

النعامي، صالح. **العلاقات المصرية - الإسرائيلية بعد ثورة 25 يناير**. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات؛ بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017.

الأجنبية

Barnea, Avner. "Challenging the 'Lone Wolf' Phenomenon in an Era of Information Overload." *International Journal of Intelligence and CounterIntelligence*. vol. 31, no. 2 (2018).

Ehrenfeld, Rachel. "The Myth of Islamist 'Lone Wolf'." American Center for Democracy and Economic Warfare Institute. 24/1/2015. at: <https://cutt.ly/5eaMcxOU>

Ganor, Boaz. "Understanding the Motivations of 'Lone Wolf' Terrorists: The 'Bathtub' Model." *Perspectives on Terrorism*. vol. 15, no. 2 (April 2021).

Peace Treaty between the State of Israel and the Arab Republic of Egypt. Washington: 26/3/1979. at: <https://cutt.ly/Deo4CSSr>

Shay, Shaul. "Israel and the Threat of the 'Mad Soldier' Terror Attacks." Research Institute for European and American Studies. 20/8/2013. at: <https://bit.ly/3Kr1Ruu>

Spaaij, Ramón. "The Enigma of Lone Wolf Terrorism: An Assessment." *Studies in Conflict & Terrorism*. vol. 33. no. 9 (2010).